



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

ديسمبر ٢٠١٤

أحباي،

سلام ونعمة،

أكتب إليكم رسالة هذا الشهر بقلب يملأه الفرح.. فرح في الرب لمحبتة العظيمة ونعمه الجزيلة، التي تساندنا دائماً. أي خيرٍ كنا نستطيع أن نحقق إن لم "يعضدنا هو يمين بره؟" (إش ٤١: ١٠). بالرغم من ذلك علينا ألا ننسى أنه سوف تأتي علينا أوقات حين نسقط ونعاني من تلك التجارب التي حدثنا عنها آباء البرية: النهم، شهوة الزنا، الطمع، الاكتئاب، الغضب، الضجر، المجد الباطل، الكبرياء. مع ذلك أفرح برؤية نعمة الله تعمل في كلاً منكم بطريقة فريدة.

عند قراءة إنجيل اليوم تبادر إلى الذهن بعض المعوقات التي تعوق نمونا – الصخور التي نضعها في طريقنا، والتي تقف حاجزاً أو على الأقل تعطل تقدمنا الروحي – أود أن أناقش معكم كيف نلاحظ هذه المعوقات في حياتنا وكيف نجد منفذاً منها بنعمة الله. (كو ١: ١٣)

نقرأ في إنجيل معلمنا مرقس الرسول الإصحاح العاشر:

فَنظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اذْهَبْ بِعِ كُلِّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي حَامِلًا الصَّلِيبَ». فَأَعْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. (مر ١٠: ٢١-٢٢).

دعونا نبدأ من البداية – منذ اللحظة التي علمنا فيها يقيناً أننا لم نعد نستطيع احتمال اضطرابات هذا العالم، في اليوم الذي عرفنا فيه أنه لكي ما نُخْلِصَ أنفسنا يجب علينا أن نهلكها (مت ١٦: ٢٥). عندما عَلِمْنَا أنه علينا أن نموت أولاً، لكي بالحقيقة نحيا، في هذا اليوم عينه نظر إلينا ربنا يسوع المسيح وأحبنا ودعانا، ونحن بدورنا أعطيناها كل مالنا وحملنا صليبنا وتبعناه.

بعد عدة سنوات، يمكننا إحصاء ممتلكاتنا العديدة التي تخليتها عنها قبل دخول الدير، لكنني أظن أيضاً أن في هذه اللحظة الحاضرة، يمكننا أن ننظر إلى داخلنا، وأن نحصر الأشياء العديدة التي مازلنا نتمسك بها بقوة – والسؤال هنا – ما هي الممتلكات التي دُعِينَا أن نتخلي عنها في سبيل أن نحمل صليبنا ونتبعه؟

إجابة هذا السؤال تتفاوت من راهب إلى آخر لأن لكلنا منا حروبنا الداخلية الخاصة به، لكن، وبالرغم من ذلك، فإن ما نشترك فيه هو عملية التحدي التي تواجهنا في التحرر من الأشياء التي إزداد تعلقنا بها.

هذا التحدي (الحرب) – لأحد الرهبان – قد يكون الخضوع الكامل ضد منطقته الشخصي، ولآخر قد يكون الانتصار على النهم والغضب، بينما قد يكون بالنسبة لراهب آخر الطاعة والاتباع في أوقات التجارب. لكن في كل الأحوال فإن كمال دعوتنا هو في تقييد أي رغبة مستترة فينا، قليلاً قليلاً، حتى نموت عن كل هوى يعرقل نمونا.

هل لك أن تتخيل صعوبة السير في طريق ضيق وغير ممهد، صاعداً إلى أعلى حاملاً صليباً خشبياً كبيراً ومقتنيات متعددة؟

ألن يكون ترك حتى شيئاً واحداً من هذه المقتنيات رفعا للمعاناة وتخفيفاً للجمل؟ (مت ١١: ٣٠).

بالرغم من ذلك، هذه ليست ببساطة مجرد مقتنيات، يمكننا التخلي عنها بسهولة، لكنها ضعفائنا الكامنة، والتي هي متأصلة في كياناتنا الجسداني – يمكننا التحرر منها فقط عن طريق إمامة مشيئتنا.

هناك نوعان من الموت: نهاية الحياة التي سوف تأتي على كلاً منا في وقت لا نتوقعه (مت ٢٤: ٤٤)، أو الموت الطوعي (الاختياري)، وهو الذي بواسطته نلتمس رحمة الله لإعانتنا في التغلب على خطايانا لكيما نميت أعمال الجسد ونحيا بالروح (رو ٨: ١٣). ومع ذلك فنحن عندما نعتز ونجوز في سقطات عظمية، علينا ألا نقبل أن نستمر في حمل عبء المقتنيات الثقيلة التي اقتنيناها بالكبرياء والمشيمة الذاتية، لأنه عندما يصبح الطريق ضيقاً سيكون علينا أن نختر: إما أن نترك ما نتمسك به ونعبر من الباب الضيق، أو أن نتمسك بخطايانا ونمضي حزانى كما فعل الشاب الغني. هذا الطريق الضيق ليس هو الهدف، ولكن الهدف هو استخدام كل مرة تسنح فيها الفرصة لكي ما نضع أنفسنا من أجل الآخرين أو أن ننكر مشيئتنا ونقطع هوانا لكيما ننمو.

أحياناً، بصرف النظر عن كم هو صعب أو مخجل لنا مواجهة ذلك، لكن علينا أن ندرك أهمية الأشياء التي تعوقنا عن النمو الروحي ونطرحها عند الباب أمام الله. يقول القديس نيلوس الناسك: "أن التلاميذ تسلموا نهج هذه الحياة من المسيح نفسه، وجعلوه نهج حياتهم، وهجروا العالم في الحال إستجابة لدعوته متجاهلين أوطانهم وأقربائهم ومقتنياتهم، واختاروا نهجاً قاسياً وشاقاً للحياة، واجهوا من خلاله كل أنواع المحن، كانوا منكوبين، معذبين، متضايقين، عراة، مفتقرين حتى إلى الضروريات، وأخيراً قابلوا الموت بشجاعة، متمثلين بمعلمهم في كل شيء بأمانة، وهكذا، من خلال سلوكهم، تركوا لنا صورة حقيقية لأسى نهج في الحياة. ومع أن على كل المسيحيين أن يقتدوا بهذه الصورة في نهج حياتهم، إلا أن أغلبهم يفتقر إلى الرغبة في فعل ذلك، أو أنهم قاموا فقط بمحاولات واهنة. وبالرغم من ذلك كانت هناك قلة ممن كان لديهم القوة ليرتفعوا فوق اضطرابات العالم ويهربوا من صخب المدن، ويهربهم من هذه الاضطرابات، قَبِلوا الحياة الرهبانية وأعادوا لنا القدوة في استقامة الحياة الرسولية".

"باختصار، لقد كانوا الضياء التي تلمع في الظلام، كانوا النجوم الثابتة التي تضيء ليل الحياة الحالك، كانوا أسوار الميناء التي لا تززعها العواصف، لقد برهنوا للجميع كيف أنه من السهل الهروب من تحديات الرغبات". (من كتاب الفيوكاليا)

هذا الطريق القاسي والملائكي في الحياة قد عانى مصير لوحة أُعيد رسمها بأياً مستهترة، حتى فقدت بالتدريج كل شبه متعلق بالأصل.

بالرغم من أننا صلبنا أنفسنا للعالم، وتنازلنا عن هذه الحياة الزائلة، ومحدوديتنا كبشر، متطوعين إلى درجة الملائكة بمشاركهم اللاهوى، ولكننا عدنا وسقطنا بسبب اهتماماتنا المادية ومقتنياتنا المُخجلة. أضعفنا حياة النسك الحقيقية، وبإهمالنا أفقدنا مصداقية أولئك الذين بحياتهم المقدسة استحقوا بالحقيقة أن يُكْرَموا.

بارتدائنا ملابس الرهبنة، قد وُضعتنا أيدينا على المحراث، ومع ذلك لا زلنا ننظر إلى الوراء متناسين ومتعمدين رفض مسئولياتنا، ولذا نصبح 'غير صالحين ملكوت السموات' (لو ٩: ٦٢).

أحياناً، كونوا أقوياء وتعلموا الاتضاع من خلال المثابرة بثبات، لأنه كما سيقودنا الموت للحياة، كذلك صعودنا الجبل سيقودنا بدلاً من أن يجعلنا متعبين. لأنه عن كل شيء تركناه لأجل المسيح سوف نأخذ مئة ضعف (مر ١٠: ٣٠).

لا تسلك في حياتك الرهبانية غير راغب في أن تجعل الله يُغَيِّرَكَ، لأن الله قد صاغ صليبك وصمم لك خطة محددة ليُعينك على حمله حتى النهاية.

أنتم دائماً في صلواتي وليواصل الله منحكم البركة ويقويكم في طريقكم.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.